ابن الشهيد

يسرني ان يعود الولد الضال الى بيته ، وأن أعود الى « الآداب » التي على صفحاتها متنفسي الطبيعي الذي أعاهد نفسي أن يدوم أبدا .

بدر شاكر السياب

وتراجع الطوفان ، لملم كل أذيال المياه
وتكشفت قمم التلال ، سفوحها ، وقرى السهول ،
أكواخها وبيوتها خرب تناثر في فلاه .
عركت نيوب الماء كل سقوفها ، ومشى الذبول
فيما يحيط بهن من شجر ... فآه
آه على بلدي ، عراقي : أثمر الدم في الحقول
حسكا ، وحلّف جرحه التتري ندبا في ثراه .
يا للقبور كأن عاليها غدا سفلا وغار الى الظلام
مثل البذور تنام في ظلم الثمار ولا تفيق .
يتنفس الاحياء فيها كل وسوسة الرغام ،
حتى يموتوا في دجاها مثلما اختنق الغريق .
جئت هنا ، ودم هناك ..
وفي بيوت النمل مد من الجفون
سقف يقرمده النجيع ، وفي الزوايا
سفر العظام من الحنايا .
ماذا تخلف في العراق سوى الكآبة والجنون ؟
أرأيت أرملة الشهيد ؟
الزوج مد عليه من ترب لحافا ثم نام
متمددا بأشد ما تجد العظام
من فسحة : سكنت يداه على الاضالع ،
والعيون
تغفو الى أبد الاله ، الى القيامة ، في سلام .
ردت الرداء العسكري ونشّرته على الوصيد...
لثمته ، فانتفض القماش يرد برد الموت ،
برد المظلمات من القبور .
يا فكرها عجبا .. ثقبت بنارك الابد البعيد ،
يا فكر شاعرة يفتش عن قواف للقصيد
ماذا وجدت وراء أمسي وعبر يومك من دهور ؟
« الثأر » يصرخ كل عرق ، كل باب
في الدار . يا لفم تفتح كالجحيم .. من الصخور ،
من كل ردن في الرداء ، من النوافذ والستور ،
من عيني ابنك ، ياشهيد ، تسائلان ، بلا جواب ،
عنك الاسرة والدروب ، وتسألان عن المصير ،
مذ ألبسته الام ثوبك في معاركك ، الاثير
ويداه في الردنين ضائعتان ، والصدر الصغير
في صدرك الابوي عاصفة تغلف بالسحاب
ورنا الى المرآة
أبصر فيه شخصك في الثياب .
ـ « أبني كان أبوك نبعا من لهيب ، من حديد ،
سورا من الدم والرعود ،
ورماه بالاجل العميل فخرّ ـ واها ـ كالشهاب ،
لكن لمحا منه شعع وفض اختام الحدود
وأضاء وجه الفوضوي ينز بالدم والصديد
وكان في أفق العروبة منه خيطا من رغاب » .
وتنفس الغد في اليتيم ومد في عينيه شمسه
فرأى القبور يهب موتاهن فوجا بعد فوج
أكفانهـا هرئت ..
ولكن الذي فيها يضم اليه أمسه
ويصيح « يا للثار .. يا للثار ... »
يصدي كل فج
وترن أقبية المساجد والمآذن بالنداء .
وينام طفلك وهو يحلم بالمقابر والدماء .

بدر شاكر السياب